

الباب السابع

في أمزجتها وخواصها وأدوائها وعلاجاتها

وما يتصل بذلك

أما مزاج الخيل فإنه حار رطب تغلب عليه الهوائية، وسماها بعضهم بنات الريح وهي أقرب الحيوان إلى مزاج الإنسان. وفي طبعه الزهو بنفسه والخيلاء والسرور والمجبة لصاحبه حتى أن بعضها تمتع غيره من ركوبها والأنتى ذات سبق شديد ولذلك تطيع غير جنسها وتعرف بالحيض.

ذكر الجاحظ وغيره أن الخيل تبيض كالنساء لكن حيضها قليل وهي ترى المنامات كالإنسان.

ونقل الدميري عن المجالسة للدينوري أنه نقل عن أبي عبيدة وأبى زيد أنهما قالا الفرس لا طحال له، والعيز لا مرارة [له] والظليم لا مخ له. وأنكره بعضهم وحمله على المبالغة يعني أن الفرس يفعل فعل من لا طحال له الخ.

قال أبو زيد وكذلك مطير الماء وحيتان البحر لا السنة لها ولا أدمغة والسّمك لا رية له ولذلك لا يتنفس.

(وأما خواص الفرس) فقد قدمنا أنه لا يجبل الشيطان أحداً في دار فيها فرس. ولحم الفرس غليظ يقال أنه يطرد الرياح. وعرقه إذا طلى به ابط الصبي لا ينبت عليه شعر، وإذا جعلت شعرة من ذنبه على باب بيت ممدودة لم يدخل

ذلك البيت بق ما دامت الشعرة. وسن العربي منه إذ علقت على ضبي سهلت
طلوع أسنانه، وإن وُضع على رأس من يغط في النوم انقطع غطيته. ورماد
حافر الفرس إذا خلط بزيت وجعل على الخنازير أبرأها، وذبله الجاف إذا
سحق وذر على الجراحات قطع دمها وإن كحل به البياض العارض في العين
أزاله، وإن دخن به أخرج الولد من البطن، وإن سقيت امرأة لبن فرس وهبي لا
تعلم أنه لبن فرس وجومت من ساعتها حملت. وإن شربته مع العسل زادت
لذة جماعها كذا قيل.

واصح الحبل ما لم يجاوز الثمان سنين؛ فقد قيل إن الثمانية للفرس بمرتلة
الأربعين للإنسان يعقياها الأنحطاط، وقيل أنها كالإنسان يعنى أنها تبقى قوتها إلى
الأربعين وربما عمرت إلى التسعين.

كذا رأيناه في بعض المؤلفات وفيه نظر إلا أن يقال هذا باعتبار الأقطار
والأعصار والا فلا صحة له فيما تعلم.

وقيل غاية النفع بها إلى ثلاثين عاماً وبعده لا تبقى وإن بقيت لا ينتفع
بها وهو الغالب من حال خيل الشام والروم. وقيل ما دام أسفل اللثة اسود
فهي نافعة.

وأحسن الأيام للحمل على الفرس أوائل الربيع ليأتي الفلو فيه فأنها
أكثر ما تحمل سنة فيأتي أعدل الأوقات فلا يضره برد الشتاء ولا حر الصيف.
وينبغي أن تلزم الراحة بعد الحمل عليها مدة، وإن لا تعلف رطباً كذلك
وأكثره شهر. وربما تعالج للحمل إذا طرقها الفحل ولم تحمل مراراً بأخراج الأم

بلطف وغسلها وإعادتها. وهذا يفعله العرب كثيراً.

لكن إنما يصلح إذا غلبت على الفرس الرطوبة وعلامته سيلان شئ من الرحم. وإذا غلبت اليبوسة سقيت من الراوند التركي مع دبس العنب وحملت صوفة من نشارة العاج ولبنها فأثما تحمل إن شاء الله تعالى مجرب.

و(أما أدواؤها وعلاجاتها) فهي أنواع، منها ما هو من قبيل الأخلاق كالحرن والعقاص والجماح والجفول والرمح والطمح والشعر والشبابة ونحوها فعلاج أمثال هذه بالرياضة وحسن الركوب وذلك يرجع إلى الراكب فيحتاج إلى مزيد معرفة وطول ممارسة للخيل وحسن دربة بركوبها. وأهم ذلك وقار الراكب وحله وعدم تسرع الغضب إليه واصطباره على شراسة أخلاق الفرس مع طول الركوب وتخفيف العلف قليلاً. وآداب الفرس لاسيما في الفضاء الواسع.

وقد يحتاج إلى تنقيح اللجام وتضييقه أو سعتة ونحو ذلك مما لا يخفى على من له درية بالخيل. ولم نر لرياضتها انفع من وقار الراكب وطول الركوب مع التؤدة في المشى، فإن احضارها يحرك كوامن أخلاقها. فإذا دأبت على تلك الحال تطبعت وتنقلت أخلاقها فأثما أصح الحيوانات مزاجاً بعد الإنسان، ولذلك تقبل التعليم ويؤثر فيها الرياضة. حتى أن بعضها يؤدب بأنه يترك على ركبته عن لقاء الأمير. وبعضها يمشى على الحائط الرقيق إلى غير ذلك.

(ومنها) ما هو من قبيل الأمراض فليعلم أن ذلك على نوعين: منها ما

يعم الإنسان وغيرها ويكون علاجه واحداً، فمثل هذا يؤخذ معرفته وعلاجه من كتب الطب. غاية ما يفرق بينهما بأن الدواء الذى يعطى للحيوان يكون فى الكمية والكيفية فوق ما يعطى للإنسان بحسب افتراق المزاجين فى الرتبة التى بها الأجماع، ولا يخفى على الفطن ذلك.

كما يحكى عن الرازى أنه دخل يوماً على السلطان وهم يعرضون عليه فرساً كان يحبه كثيراً والفرس يتألم ألماً زائداً حتى أنه سقط إلى الأرض ولم يبق فيه إلا النفس واضطرابه من الألم، وقد تألم السلطان لذلك وأشرف للفرس على الهلاك. فنظر إليه الرازى الحكيم فعلم أن تألمه من جنس القولنج الذى يعرض للإنسان ففكر فى ذلك وفيما يوافقه فأخذ من المفتحات القوية مقدار ما يعطى الإنسان مرتين أو ثلاثة. وجعلها فى شئ من المياه المناسبة لذلك وسعطه للفرس فحين استقر فى معدته أثر فى دفع الريحية فقام الفرس فسقاه أيضاً شيئاً من المسهل كذلك فشفى رأساً.

قال وكان ذلك الفرس كلما مررت به نظر إلىّ نظر متودد.

قال الشيخ داود رحمه الله قد تقرر أن كل متحرك بالارادة فهو من الأخلاط الأربعة وكل كائن منها فهو معروض عرضى صحة وفساد فيحتاج إلى تعديلها فيه بحسب الطاقة مع ملاحظة ما بين الإنسان وغيره من اختلاف الأغذية والتركيب وما يجب لذلك من كميات الدواء وأنواعه فعليك بالتعديل بحيث يقارب فى الخيل مزاج الإنسان إلى آخر ما ذكره.

من ذلك البرص والبهق، والأول لا يعم جميع البدن فيما عدأ الإنسان.

ومما ينفع فيهما سقى ماء الصعتر والبصل والدلك بماء الليمون والنطرون والنوشادر. ومنه الجرب وينفع منه هنا ساق الحمام والقلبي والعفص وجوز السرو ودخان القرن وبعر الماعز فهذه مفردة ومجموعة كبوسات نافعة في ذلك، وكذا الرماد مع الملح وورق الدفلى، ومتى كثر تقشير الجلد ولا رطوبة فالغالب السوداء أو كانت رطوبة مثل النخالة ورقت المادة وكثرت الحرارة فالصفراء أو توفرت الجراحات أو الرطوبة قابلغم حيث لا حرارة أو معها فالدم وعلاج كل لا يخفى على الطبيب مع رعاية ما قدمنا من اعتبار الزيادة والقوة.

ومما يعرض لها من ذلك الجفون وتحريك الرأس وثقل الحركة والمغلة وهى شبيهة بالقولنج في الإنسان وينفع منه فصد الودجين.

ومما ينفع في هذه كلها فصد البارزكين وهما عرقان في جانبي الدماغ مما يلى الأذنين ومما ينفع من المغلة فصد الأذرعين وهما العرقان الممتدان مما يلى الية إلى باطن الدماغ.

ومما ينفع من المغلة احتمال فتايل من الحلتيت والأشق والحنظل ونفخ شئ من الفلفل في احليل الذكر ورحم الأنثى في ماسورة وسقى ماء الحلبة ومرارة الدب بالسمن. وكل ما ينفع الإنسان من القولنج مع رعاية القوانين. ومن اليرقان ومهو على حكمه في الإنسان. وينفع فيه هنا فصد عرق الرأس إن اشتدت صفرة العين، والا فعرق الذنب والمخازم.

وإن عم الصفار واستحكم المرض تفصد الثلاثة وينفع فيه طبخ بزر

الهنديا والرواند الصيفي بشراب فيسعط أو يسقى.

ومن أمراضها الحيات وهي كذلك وتزيد هنا فصد الودجين وشرب رماد قصب السكر والأحتقان بالزيت والكمون والجبن والشيرج والأبسهل والخمر وقرم مثل الكل. قاله الشيخ داود البصير، وقال ظاهر كلام الكامل إن الخمر يبدل باللبن وبالعكس.

قالوا ويجتنب هنا أكل الشعير ويجب في سائر الأمراض الحارة اليابسة علف الخضروات وفي ضدها العكس.

[ومنه] ضعف الكلى ويعرف هنا بحمرة البول وذبول الجلد والشعر، ولايزيد عن علاج الإنسان إلا الكى مما يلي الذكر إلى ملتقى الأضلاع ستة من كل جانب بين كل اثنين نحو أصبعين وشرب أصل السوسن بالسكر وجعل السفرة مع العلف.

[ومنه] الخفقان ووجع القلب فهما كالمغلة وقرحة الرية فكما في الإنسان ويزيد رماد قصب السكر بالزعفران.

[ومنه] المفاصل والنقرس ونحوهما كالنقار وهو ما حصل في قائمة واحدة. ويعلم بالورم أو بضعف الحركة وعلاجه الزايد هنا قصد بطون القوام وكى القناة. أعنى قصبه الرجل والنطولات والضمادات بكل حار محلل كالأكليل والبايونج والحلبة وأصل الكبر والبزر والخطمية والقولنج والمغاث فإن لم يتمحض البرد سبباً عجن بالعتسل والا انحل وزيدت دقيق القول.

ومن الأمراض ما يختص بالفرس. فمنها الأهليلجة وهي المسماة الآن

ومنها الكوكب وسببه فساد أكل مقرد فإنه يجمع البخار الرطب فيبرد وعلاجه إن كان صلباً التليين بالسمن والقنة وسائر الصموغ وزيل الحمام لصوقاً ثم يبضع.

ومنها الجمرة وهى عرض سببه العطش الكثير. قيل ولا بد وأن يتقدمه أكل كثير وعلامته ثقل المشى والنفاخ وثقل الصدر ويس الأعضاء وعلاجه بفضدأى العروق كان. وأولاه على ما قرروه وجربناه من اليدين من حد الحافر مما يبيل الشعر.

قال الشيخ داود والذي جربناه عرق الجبهة ثم السعوط بماء الورد والكافور والنطول بالحشايش الحارة كالجساد والبايونج.

ومنها شئ يقال له العظم المعترض يتكون فى المفاصل خصوصاً فوق الركبة، وسببه المشى فى الوهاد والجبال وكثرة المشى. وعلاجه لصق كل ملين كالزبيب وعنب الذئب والزعفران ما تيسر من ذلك. والطفى بالشونيز والعسل.

ومن أمراضها ما يختص بالقوائم، فمنها المشش ورم ينتو فى العصب من غير نفود فالكرد مثله لكن بنفود فى الأطراف، فالتعقيد وهو غلظ أحد القوائم على نحو داء الفيل فالانتشار وهو ورم تحت الركبة يزود كالعصب، فالقذل وهو انتفاخ فى بيت قردان أو فوقه والفتق.

وأما عظم السبق فخراج فى الوظيف تحت الركبة. ومادة الكل خلط غليظ ينصب عن سبب عنيف كحمل ثقيل وركض فى صلب.

وقد تثقل المادة وحينئذ فلا يطعم بالعلاج وإلا عولجت باللصاقات
المصنوعة من الصموغ والحنظل الرطب والمقل والأشق والثوم والعدرة الرطبة
مجربة لصوقاً على الصوف. وكذا الميعة بالزيت. ويزاد للترهل النطول بالنخالة
والبابونج وتين الفيل والأكليل. وقد يبضع وقد يحتاج فيها إلى شرب الراوند،
ولم يخط جرح هذه لتعلقها بالعصب بل يحشى بالدممات مثل الصبر والديون
والكادى والفوفل وقرفة البحر.

ومن هذا النوع الشرطان، وهو خراج في الحافر وينفع منه ما تقدم،
وقد يكوى وعظم السبق يكوى أيضاً برفق.

ومنها النفاخات فتستزل ثم تكوى شباكاً ويلصق على الكل الصدر
والصابون والخل وكذا القمع.

وأما ما يسمى هنا مفصل اليسار فتزلات. في الوركين على حد عرق
النسا في الإنسان وعلاجها الكى دائرة ووضع المستخات ضماداً كالزنجبيل
وتطولا كالحلبة ودهناً كالنقط. وكذا الثوم إذا غلى بالخل ومثله وجع الركبة.

ومنها الحنظل وهو انخلال العصب بحيث يفارق المفصل مركزه وسببه
شرب على تعب تقدم أو تأخر أو حمل ثقيل. وعلاجه الكى دائرة بمحله
والضماد بالقوابض كالعفص. ومنها ريح الحمال وهو ورم في أصل الفخذ إلى
آخر الرجل. وقد لا يغم وسببه بخار أو ريح ينضغط بين الأغشية وعلاجه
الضماد بالجاورسن حاراً وكذا النخلة والعدرة.

وأما القروح والدبرات التي تحصل من ميل السرج أو الراكب أو من

ومنها الكوكب وسببه فساد أكل مقرد فإنه يجمع البخار الرطب فيبرد
وعلاجه إن كان صلباً التلين بالسمن والقنة وسائر الصموغ وزبل الحمام
لصوقاً ثم يوضع.

ومنها الجمرة وهي عرض سببه العطش الكثير. قيل ولا بد وأن يتقدمه
أكل كثير وعلامته ثقل المشى والنفخ وثقل الصدر ويس الأعضاء وعلاجه
بفضداى العروق كان. وأولاه على ما قرروه وجربناه من اليدين من حد الحافر
مما يبيل الشعر.

قال الشيخ داود والذي جربناه عرق الجبهة ثم السعوط بماء الورد
والكافور والنطول بالحشايش الحارة كالجساد والبابونج.

ومنها شئ يقال له العظم المعرض يتكون في المفاصل خصوصاً فوق
الركبة، وسببه المشى في الوهاد والجبال وكثرة المشى. وعلاجه لصق كل ملين
كالزبيب وعنب الذئب والزعفران ما تيسر من ذلك. والطفى بالشونيز
والعسل.

ومن أمراضها ما يختص بالقوائم، فمنها المشش ورم ينتو في العصب من
غير نفود فالكرد مثله لكن بنفود في الأطراف، فالتعقيد وهو غلظ أحد القوائم
على نحو داء الفيل فالانتشار وهو ورم تحت الركبة يزود كالعصب، فالقذل
وهو انتفاخ في بيت قردان أو فوقه والفتق.

وأما عظم السبق فخراج في الوظيفة تحت الركبة. ومادة الكل خلط
غليظ ينصب عن سبب عنيف كحمل ثقيل وركض في صلب.

وقد تثقل المادة وحينئذ فلا يطمع بالعلاج وإلا عولجت باللصقات
المصنوعة من الصموغ والخنظل الرطب والمقل والأشق والثوم والعدرة الرطبة
مجربة لصوقاً على الصوف. وكذا الميعة بالزيت. ويزاد للترهل النطول بالنخالة
والبابونج وتين الفيل والأكليل. وقد يوضع وقد يحتاج فيها إلى شرب الراوند،
ولم يخط جرح هذه لتعلقها بالعصب بل يحشى بالدملات مثل الصبر والديون
والكادى والفوفل وقرفة البحر.

ومن هذا النوع الشرطان، وهو خراج في الحافر وينفع منه ما تقدم،
وقد يكوى وعظم السبق يكوى أيضاً برفق.

ومنها النفاخات فستزل ثم تكوى شباكاً ويلصق على الكل الصدر
والصابون والخل وكذا القمع.

وأما ما يسمى هنا مفصل اليسار فترلات. في الوركين على حد عرق
النسا في الإنسان وعلاجها الكي دائرة ووضع المسخنات ضماداً كالزنجبيل
وتطولا كالحلبة ودهناً كالنפט. وكذا الثوم إذا غلى بالخل ومثله وجع الركبة.

ومنها الخنظل وهو انحلال العصب بحيث يفارق المفصل مركزه وسببه
شرب على تعب تقدم أو تأخر أو حمل ثقيل. وعلاجه الكي دائرة بمحله
والضماد بالقوابض كالغصص. ومنها ريح الحمال وهو ورم في أصل الفخذ إلى
آخر الرجل. وقد لا يغم وسببه بخار أو ريح ينضغط بين الأغشية وعلاجه
الضماد بالجاورسن حاراً وكذا النخلة والعدرة.

وأما القروح والدبرات التي تحصل من ميل السرج أو الراكب أو من

المطرحة ونحوها فعلاجها بالتنقية والذرورات القابضة كالعفص وفسور الرمان والشب والحناء وهو أنفعها لذلك وترك الركوب رأساً أو قطع المطرحة بمقدار القرح ويجعل فيها وقاية له ونحو ذلك. ومنها التحريك وعلاجه الطفل باخل ومنها الخلد الطيار، قالوا ومن المجرب فيه رماد اليسر والآبنوس. ومنها اللرز وهو انضغاط تشنج منه الأضلاع ويعسر مغه النفس. وعلاجه كى الخواصر والبطن كهينة رجل الغراب والرأس واللبة كيف اتفق.

وأما ما يعرض لعينها منها البياض ، وذكر الشيخ داود له اكهالاً.

منها ملح اندرائى نظرون لؤلؤ سواء سكر نبات زنجبار حجر مسن محرق فلفلان دار فلفل. ومنها هذه الأجزاء ويضاف إليه المرجان والنشادر والزعفران والكافور والتويتا ونوعى الأقليميا.

قال وينفع الأكتحال به من المغلة والظفرة. أقول وشاهدتا أنه يتقدم من الظفرة اكهالها بمحجر التوتيا وبأصل بخور مريم يحك كل منها في العين محجوب. وللطرفة في العين سمن ودهن ورد صفار بيض زعفران سيلقون. وكذا الأشق بلبن الحمير.

"خاتمة" قالوا إذا أطعمت الخيل شحم الحنظل بالعجين في كل مدة مرة يحفظ صحتها. والملح في عليقتها يزيل ضررها ويقوى معدتها وكذلك الكفرة والله الهادى.

obeikandi.com

المطرحة ونحوها فعلاجها بالتنقية والذرورات القابضة كالعفص وفتشور الرمان والشب والحناء وهو أنفعها لذلك وترك الركوب رأساً أو قطع المطرحة بمقدار القرح ويجعل فيها وقاية له ونحو ذلك. ومنها التحريك وعلاجه الطفل باخل ومنها الخلد الطيار، قالوا ومن المجرب فيه رماد اليسر والآبنوس. ومنها اللرز وهو انضغاط تشنج منه الأضلاع ويعسر مفعه النفس. وعلاجه كى الخواصر والبطن كهينة رجل الغراب والرأس واللبة كيف اتفق.

وأما ما يعرض لعينها منها البياض ، وذكر الشيخ داود له اِكحالاً .

منها ملح اندرانى نظرون لؤلؤ سواء سكر نبات زنجبار حجر مسن محرق فلفلان دار فلفل. ومنها هذه الأجزاء ويضاف إليه المرجان والنوشادر والزعفران والكافور والتويتا ونوعى الأقليميا.

قال وينفع الأكتحال به من المغلة والظفرة. أقول وشاهدتا أنه يتقدم من الظفرة اِكحالها بمحجر التوتيا وبأصل بخور مريم يحك كل منها فى العين مجرب. وللظفرة فى العين سمن ودهن ورد صفار بيض زعفران سيلقون. وكذا الأشق بلبن الحمير.

"خاتمة" قالوا إذا أطعمت الخيل شحم الحنظل بالعجين فى كل مدة مرة يحفظ صحتها. والملح فى عليقتها يزيل ضررها ويقوى معدتها وكذلك الكفرة والله الهادى.

obeikandi.com

ثمن فرسه. فأسرع النبي ﷺ المشى وأبطأ الأعرابي فطفق رجال يعترضون الأعرابى فيسأومونه بالفرس ولا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه حتى زاد بعضهم للأعرابي في السوم على ثمن الفرس الذى ابتاعه به النبي ﷺ فنأدى الأعرابي النبي ﷺ فقال إن كنت مبتاعاً هذا الفرس فابتعه والا بعته فقال النبي ﷺ بلى قد ابتعته منك فطفق الناس يلوذون بالنبي ﷺ وبالأعرابي يتراجعان، وطفق الأعرابي يقول هلم شهيداً يشهد أنى قد بايعتك فمن جاء من المسلمين قال الأعرابي ويلك أن النبي ﷺ لم يكن ليقول إلا حقاً. حتى جاء خزيمه بن ثابت فاستمع لمراجعة النبي ﷺ ومراجعة الأعرابي ، فطفق الأعرابي يقول هلم شهيداً يشهد أنى قد بايعتك. فقال خزيمه بن ثابت أنا أشهد أنك قد بايعته. فأقبل النبي ﷺ على خزيمه فقال بم تشهد. فقال بتصديقك يارسول الله فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمه بن ثابت بشهادة رجلين.

وفى رواية قال رسول الله ﷺ وهل حضرتنا يا خزيمه. فقال لا فقال فكيف شهدت بذلك. فقال بأبى أنت يارسول الله أصدقك على أخبار السماء وما يكون فى غدٍ ولا أصدقك فى ابتياعك هذا الفرس. قال رسول الله ﷺ إنك لذو الشهادتين يا خزيمه.

وروى ابن سعد عن الواقدى. قال سألت محمد بن يحيى عن المرتجز فقال هو الفرس الذى اشتراه رسول الله ﷺ من الأعرابي وشهد له فيه خزيمه ابن ثابت. وكان الأعرابي من بنى مرة.

قال الحافظ وذكر غيره أن اسمه سواء بن الحارث المحاربي وأن له

صحبة.

وروى الواقدي عن ابن عباس. قال : كان لرسول الله ﷺ فرس يدعى المرتجز . قال ابن الأثير وكان أبيض. وقال ابن قتيبة في المعارف المرتجز فرس رسول الله ﷺ الذي اشتراه من الأعرابي وشهد له به خزيمه بن ثابت . وقيام شهادة خزيمه رضى الله عنه مقام شهادة رجلين خصوصية له انفرد بها عن بقية الصحابة مع الفضيلة الباهرة لغيره من قدماء المهاجرين وهذه الخصيصة رشحة من رشحات قوله تعالى ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾^(١) فإن خزيمه نصر رسول الله ﷺ بشهادته مع أنه لم يكن حاضراً فدل على تمام إيمانه وتصديقه وثباته في اليمان وهو قدم من الصديقية فنصره الله برفع قدره وجعله بمنزلة رجلين في الشهادة إذ الجزاء من جنس العمل والله الموفق .

وفي رواية اسم ذلك الفرس الطرف. وفي أخرى الجيب والبحر . ذكر ابن بنين رحمه الله تعالى البحر في خيل النبي ﷺ . وقال هو فرس أشتراه من تجار قدموا. من اليمن فسبق عليه مرات فمسح النبي ﷺ وجهه وقال ما أنت إلا بحر فسمي بحراً .

قال ابن الأثير وكان كميئاً. وقدمنا في السباق أن فرسه ﷺ الذي جاء سابقاً كان أذهماً حتى أن الناس استشرفوا للسابق فقالوا الأدهم الأدهم.

وروى الحافظ الدمياطي قرأت على الأشياخ الثلاثة محمد بن سعد وعبد الحميد بن عبد الهادي، وأحمد بن عبد الدايم بسفح قاسيون . أخبركم يوسف بن معالي بن نصر الكناني. قال أنبأنا علي بن أحمد بن منصور بن قيس

(١) سورة محمد الآية ٧.

الغساني. قال أنبأنا الحسن بن محمد بن علي الأنطاكي.

قال أخبرنا أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله الرازي. قال أنبأنا أبو الطيب محمد بن حميد بن محمد بن سليمان الحوراني الدمشقي قال حدثنا الحسن ابن جرير قال. حدثنا سليمان بن أيوب قال حدثنا بشر بن عون أبو عون القرشي الدمشقي قال حدثنا بكار بن تميم عن مكحول عن وائلة الأسقع قال أجرى رسول الله ﷺ فرسه الأدهم في خيول المسلمين في المحصب من مكة فجاء فرسه سابقاً فجثا رسول الله ﷺ على ركبتيه حتى إذا مرّ به قال إنه ليجر، فقال عمر بن الخطاب كذب الحطيئة في قوله.

وان جياذ الخيل لا تستفزني ولا جاعلات العاج فوق المعاصم

فلو كان صابراً أحد عن الخيل لكان رسول الله ﷺ أولى الناس بذلك.

قال الثعالبي إذا كان الفرس لا ينقطع جريه فهو بحر شبه بالبحر الذي لا ينقطع ماؤه.

وأول من تكلم بذلك النبي ﷺ في وصف فرس ركبه لأبى طلحة الأنصاري. روى الشيخان وغيرهما بالفاظ متقاربة عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ أجمل الناس وجهاً، وأجود الناس كفاً وأشجع الناس قلباً إن أهل المدينة فزعوا مرة فاستعار فرساً لأبى طلحة فركبه عرباً. وفي رواية وكان يقطف وفي بعضها وكان اسمه مندوب وخرج وفي عنقه سيف وفي بعضها ففزع الناس فوجدوه راجعاً يقول لم تراعوا لم تراعوا. ثم قال أنى وجدته بجرأ فكان بعد ذلك لا يجارى وفيه معجزة له ﷺ ظاهرة.

ومثلها مارواه النسائي والطبراني^(١) من حديث كحيل الأشجعي رضى الله تعالى عنه قال خرجت مع النبي ﷺ في بعض غزواته وأنا على فرس عجفاء فكنت في آخر الناس فلحقني النبي ﷺ فقال سر يا صاحب الفرس، فقلت يارسول الله انما فرس عجفاء ضعيفة فرفع النبي ﷺ مخفقة كانت بيده فضربها بها وقال الله بارك له فيها فلقد رأيتني وما أملك رأسها حتى صارت قدام القوم. ولقد بعث من بطنها بأثني عشر الفاً انتهى.

ولعل الكحيلات كلها منسوبة إليها فيكون أصلها كحيليات منسوبة إلى كحيل وخفقت والله أعلم.

وسبحة ذكرها ابن بنين في خيله ﷺ وقال هي فرس شقراء ابتاعها من أعرابى من جهينة بعشر من الأبل وسابق عليها يوم خميس ومد الحبل بيده ثم خلا عنها وسبح عليها فأقبلت الشقراء حتى أخذت صاحبها العلم وهي تغير في وجوه الخيل فسميت سبحة.

وعن أنس بن مالك قال راهن رسول الله ﷺ على فرس يقال له سبحة فجاءت سابقة فهش لذلك وأعجبه. رواه أبو عبيدة عن أبى لييد.

ولفظه قلت لأنس بن مالك أكان رسول الله ﷺ يراهن على الخيل. قال أى والله لقد راهن على فرس يقال له سبحة فسبقت، فهش لذلك

(١) هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، ومات سنة ٢٦٠هـ صاحب المعجم الكبير والأوسط والصغير.

انظر المزيد في: ذكر أخبار أصبهان ٣٣٥/١، طبقات الخنابلة ٤٩/٢.

وأعجبه قوله فبهش وفي الرواية الأولى هس وهما بمعنى ارتاح له وخف إليه
وسميت سبحة من قولهم فرس سابح وتقدم تفسيره.

وقال ابن حبيب وكانت لجعفر بن أبى طالب فرس شقراء يقال لها
سبحة استشهد عليها يوم مؤتة ومرانه عقرها يومئذ.

قال الحافظ وكان لعلی رضی الله عنه فرس في أيام النبي ﷺ يسابق عليه
يسمى سبحة كانت سابقة قاله أبو الخطاب. وسبحة فرس زيد بن حارثة الذي
غزا عليه ابنه أسامة أرض الروم بعد النبي ﷺ وهي أول غزوة بعده وآخر بعث
بعثه ﷺ. وسبحة أحد أفراس المقداد الذي كان معه يوم بدر وهي أول غزوات
النبي ﷺ بنفسه الشريفة وبها كان عز الإسلام ولا يبعد أن يكون أحد هذه
الأفراس هي فرسه ﷺ أعطاها لأحد هؤلاء كذا قال الحافظ وهو قريب.

(وذا اللمة) ذكره أبو حبيب أيضاً. واصل اللمة الشعر الذي يللم
بالمنكين فإن شعر الرأس من الإنسان إذا وصل إلى شحمة الأذن فهو وفرة فإذا
زادت حتى ألت بالمنكيه فهي لمة. وإذا زادت فهي جمة. وفارس اللمة عكاشة
ابن محصن الأسدي^(١) الذي دعا له النبي ﷺ أن يكون ممن يدخل الجنة بغير
حساب. فقتل طليحة بن خويلد الأسدي أيام الردة وأعطاه النبي ﷺ يوم أحد
غوداً لما وجدته بغير سلاح فعاد في يده الردة وأعطاه النبي ﷺ يوم أحد غوداً لما
وجدته بغير سلاح فعاد في يده سيفاً وبقي عنده يقاتل به حتى استشهد.
وهذا كالذي قبله يجوز أن يكون هو فرس النبي ﷺ أعطاه إياه.

(١) ورد ذكره وترجمته في: تهذيب التهذيب.

(وذو العُقَال) بضم العين وتشديد القاف. وهو ظلع يأخذ بقوائم الدابة وجوزوا فيه تخفيف القاف. وذو العقَالِ كان فرساً في بني يربوع أبوه داحس المشهور.

(واللزاز واللحيف والظرب) روى ابن مندة من حديث عبد المهيم ابن عباس بن سهل عن أبيه عن جده قال: كان لرسول الله ﷺ ثلاثة أفراس يعلفهن عند سعد بن سعد بن مالك أبي سهل أئى الساعدى وسمعت النبي ﷺ يسميهم اللزاز واللحيف والظرب. فأما اللزاز فأهداه له المقوقس. وأما اللحيف فأهداه له ربيعة بن أبي البراء وهو ملاعب الأسنة عامر بن مالك فأثابه عليه فرايض من نغم بني كلاب أسلم ربيعة وله صحبة. (وأما الظرب) فأهداه له فروة بن عمرو الجذامي. قال ابن سعد كان مع النبي ﷺ يوم المريسيع فرسان لزاز والظرب. واللزاز من قوهم لاززته أى لاصقته كأنه يلتصق بما يطلب عليه لسرعته وقيل من الملز من المجتمع الخلق الشديد الأسر سمي به لاجتماع خلقه وشدته. وكان رسول الله ﷺ به معجباً وكان تحته يوم بدر وفي كثير من غزواته. ولعل قوهم كان تحته يوم بدر وهم وانما هو يوم خيبر. فإن بدرأ كانت في السنة الثانية وارساله صلوات الله وسلامه عليه للمقوقس واهدأوه للنبي ﷺ كان سنة ست والله أعلم.

(وأما اللحيف) بالمهملة وفتح اللام فعيل سمي به لطول شعر ذنبه كأنه يلحف به الأرض أى يغطيها. وقيل بضم اللام وفتح الحاء مصغراً. وقيل التحيف بالنون بدل اللام.

قال الحافظ ليس بشئ. وقال بعضهم اللخيف بالخاء المعجمة على

فعليل.

والظرب واحد الظراب وهي الروابي الصغار سمي به لكبره وسمته.
وقيل لقوته. كان مهديه فروة الجذامي عاملاً للروم على من يليهم من العرب
وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام بعث إلى رسول الله ﷺ بأسلامه
وأهدى له معه بغلة بيضاء. فلما بلغ الروم إسلامه طلبوه فأخذوه وحبسوه ثم
ضربوا عنقه وصلبوه رضى الله عنه.

وأما المقوقس مهدي اللزاز فستأى أخباره إن شاء الله تعالى.

(والورد) قال ابن سعد: وأهدى تميم الدارى لرسول الله ﷺ فرساً يقال
له الورد فأعطاه عمر فحمل عليه عمر في سبيل الله فوجده يباع برخص فأراد
أن يشتريه فاستأذن النبي ﷺ فلم يأذن له كذا في الصحيح. قال حمزة بن عبد
المطلب رضى الله عنه.

ليس عندى إلا السلاح وورد قارح من بنات ذى العقال

والورد فرس زيد الخيل وهو زيد بن مهلهل بن زيد الطائى. ولما سلم
سماه النبي ﷺ زيد الخير واثني عليه بقوله ما وصف لى أحد فرأيته إلا رأيته دون
تلك الصفة إلا أنت فإنك فوق ما قيل لى فيك، فيك خصلتان يجبهما الله
ورسوله الأناة والحلم. فقال الحمد لله الذى جبنى على ما يجب الله ورسوله.
وسمى فى الجاهلية زيد الخيل لكثرة خيله فأن العرب إذ ذاك أكثرهم كان يملك
الفرس والفرسين فليل لعزة الخيل عندهم:

وأما زيد فكانت له أفراس كثيرة منها الورد. ذكر ابن سعد في وفادات أهل اليمن قدم وفد الدارين على رسوله ﷺ منصرفه من تبوك وهم عشرة نفر، فيهم تميم ونعيم أخوه ويزيد بن قيس والفاكه بن النعمان، وجبله بن مالك وأبو هند والطيب وسماه النبي ﷺ عبد الله وهاني بن حبيب وعزيزة ومرة ابنا مالك. فأسلموا وأهدى هاني بن حبيب لرسول الله ﷺ راوية خمر وأفراساً وقباء مخصوصاً بالذهب فقبل الأفراس والقباء وأعطاه العباس بن عبد المطلب. فقال ما أصنع به قال تترع الذهب فتحليه نساءك أو تستفقه ثم تبيع الديباج فتأخذ ثمنه. فباعه العباس من رجل من يهود بثمانية آلاف درهم.

وقال تميم لنا جيرة من الروم لهم قربتان يقال لأحدهما جيرك والأخرى بيت عينون. فإن فتح الله عليك الشام فهبها لي قال فهما لك.

قال فلما قدم أبو بكر أعطاه ذلك. قال وأقام وفد الدارين حتى توفي رسول الله ﷺ وأوصى لهم بمجاد مائة وسقى فإن كان هو الفرس الورد فتسببه هديته لتميم رضى الله عنه لكونه من الدارين وتميم أشهرهم وإن كان فرس آخر فهذا الفرس غير مسمى والله أعلم.

[والسجل] ذكر ابن عبدوس الكوفي أسماء خيله ﷺ السجل. قال الحافظ لعله مأخوذ من سجلت الماء فانسجل أى صببته فانصب.

والشحايا بالشين المعجمة والحاء المهملة من قولهم فرس بعيد الشحوة أى بعيد الخطوة وجاءت الخيل شواحي فاتحات أفواهاها.

قال الحافظ وأخف أن يكون السجل مصحفاً من الشحا أو العكس

والله أعلم .

[والسرحان والمرتجل والأدهم وملاوح واليعسوب] حكى عن ابن بنين عن ابن خالويه. قال للنبي ﷺ من الخيل سبحة واللحيف؛ ولزاز والظرب، والسكب، وذو اللمة والسرحان، والمرتجل، والأدهم، والمرتجز، وملاوح، والورد، واليعسوب.

وذكر قاسم بن ثابت في كتاب الدلائل اليعسوب واليعسوب فرسين لرسول الله ﷺ فيكون عدة ذلك أربعة عشر المسماة.

وذكر ابن الكلبي في جههرته عن أعصر بن سعد أنه وفد على رسول الله ﷺ وأهدى له فرساً.

وذكر الطبراني في معجمه الصغير أن بياض بن حماد المجاشعي^(١) أهدى لرسول الله ﷺ فرساً قبل أن يسلم فقال إنى أكره زبد المشركين.

وقال ابن الكلبي أهدى له نجيبة وكان صديقاً له إذا قدم عليه مكة لا يطوف إلا في ثيابه فقال أسلمت قال لا. قال إن الله ثماني عن زبد المشركين فأسلم فقبلها منه. والزبد العطية تقول منه زبدت فلاناً وأزبدته أرفدته وأصلها الزبد الذي هو طرى السمن. فكان المعطى يلقم المعطى زبداً فهو من مجاز الكلام.

وذكر أبو داود حديث ذى الجوشن الضبابسى واسمه شرحبيل.

قالت أئيت النبي ﷺ بعد أن فرغ من أهل بدر بأبن فرس يقال لها

(١) ورد ذكره في تهذيب التهذيب.

القرحاء فقلت يا محمد أنى قد جئتك بابن القرحاء لتخذه. قال: لا حاجة لى فيه. وإن شئت اقيضك به المختارة من دروع بدر قلت ما كن اقيضه اليوم بقرة. قال فلا حاجة له فيه. يقال قاضه يقيضه إذا عوضه. والقرحاء تأنيث الأقرح. وتقدم وليس فى هذا الحديث أنه قبله فلا بعد فى خيله صلوات الله عليه وسلامه.

واليعسوب واليعوب اللذين ذكرهما ابن ثابت الأول منقول من اسم طائر أعظم من الجراد لا يضم جناحه إذا هداً تشبه به الخيل فى الضمر. قال أبو جنية:

شعث بطيف بشخصه لوايح أمثال اليعاسيب ضمراً.

قال الجوهري والباء فيه زائدة لأنه ليس فى كلامهم فعلول غير صعقوق وهو اسم فرس الزبير أيضاً. وقيل أنه أحد الأفراس التى كانت مع المسلمين يوم بدر كما يأتى، واليعسوب اسم ملك النحل التى تتبعه. وفى كامل ابن عدى أن النبى ﷺ قال لعلى رضى الله عنه أنت يعسوب المؤمنين.

ويروى أن الإمام علياً رضى الله عنه وقف على باب البيت الذى مات فيه أبو بكر وهو مسجى. وقال والله كنت يعسوباً للمؤمنين، وكنت كالجبل لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف انتهى.

واليعبوب الفرس الجواد. وجدول يعبوب شديد الجرى، وهو اسم أحد أفراس النعمان بن المنذر. والأجلح الصنابى أيضاً.

والمرتجل من الارتجال تقول ارتجل الفرس ارتجالاً إذا خلط العنق بشئ

من الهملجة وسبق تفسيرهما. والسرحان منقول من اسم الذئب.

قال سيبويه: الألف والنون زايدتان فهو فعلان. قال الكسائي والأثنى

سرحانة.

[والمرواح] ذكر ابن سعد عن زيد بن طلحة التيمي. قال: قدم خمسة

عشر رجلاً من الرهاويين وهم حى من مذحج على رسول الله ﷺ فزلوا دار
رملة بنت الحارث. فأتاهم رسول الله ﷺ فتحدث عندهم طويلاً وأهدوا
لرسول الله ﷺ هدايا منها الفرس يقال له مرواح فأمر به فشور بين يديه
وأعجبه فأسلموا وتعلموا القرآن والفرائض وأجازهم كما يجيز الوفد أرفعهم
ثنى عشرة أوقية ونشا ولبعضهم خمس أواق ثم رجعوا إلى بلادهم.

والمراوح بكسر الميم من أبنية المبالغة كالملقاء والمقدام مفعال من الريح

لسرعته أو من الروح لسعته فى الجرى. أو من الراحة لأنه يستراح به. أو من
قوله راح الفرس يراح راحة إذا تحصن أى صار فحلاً.

وقوله فشور بين يديه، تضعيف قولك له شرت الدابة شوراً عرضتها.

على البيع أقبلت بها وأدبرت. والمكان الذى تعرض فيه الدواب مشوار.
وفى المثل إياك والخطب فأثما مشوار كثير العثار.

هذا ما حضرني الآن من أخبار خيله صلوات الله عليه وسلامه مع

تشتت البال بالأسفار والأغتراب عن الأولاد والديار؛ وتوزيع الفكر بين
حوادث الليل والنهار.

ولنذكر لذلك تكملة فيما انتهى إلينا من أخبار بقية دوابه وما ورد فى

ذلك من الآثار فنقول.

وجاء أنه ﷺ ركب البراق ليلة المعراج وجاء في الأحاديث أنه دابة بيضاء بين البغل والحمار في فخذه جناحان يحفز بهما رجله يضع يده في منتهى طرفه. وفي لفظ شبيهة بالبغل. وفي آخر أنها طويلة الأذنين مضطربتهما، وأنها إذا صعدت شرفاً طالت رجلاها. وإذا هبطت طالت يداها. وفي بعضها خده كخد الإنسان وذنبه كذنب البقر وعرفه كعرف الفرس وقائمه كقوائم الإبل وأظلافه كأظلاف البقر، صدره ياقوتة حمراء، ظهره كأنه درة بيضاء عليه رحل من رحائل الجنة.

رواه الثعالبي في تفسيره بسند جيد وله متابعات، وفيه وهي دابة إبراهيم التي كان يزور عليها البيت الحرام، فلما وضعت يدي عليه تشامس واستصعب عليّ، فقال جبريل مه يابراق.

وفي رواية وكانت الأنبياء تركبها قبلي وكانت بعيدة العهد بالركوب أي لفترة الأنبياء. فقال جبريل أما تستحين. وفي رواية بمحمد تفعل هذا ما ركبك مذ كنت نبي قط أكرم على الله من محمد.

وفي رواية والله ما ركبك أحد الخ ..

وفي الرواية الأولى ، فقال البراق يا جبريل مس صفرأ فقال جبريل مسست صفرأ يا محمد قلت لا والله إلا أني مررت يوماً على إساف ونايلة فمسحت يدي على رؤسهما وقلت أن قومأ يعبدونكما من دون الله ضلال فأعاد العتاب عليه جبريل.

وفي رواية فزاره بأذن فارتعشت البراق . وفي رواية فأرفضت عراقاً
حياءً منى ثم انخفض حتى لصق بالأرض فركبته حتى أتيت بيت المقدس
وأحاديث المعراج مستفيضة يضيق عن استيعابها الوقت والغرب ثبوت
ركوب النبي ﷺ البراق وقد قدمنا في حكمة ذلك ما سنح مما به الله فتح.

ونقل الدميري عن حذيفة رضى الله تعالى عنه ما زایل أى رسول الله
ﷺ ظهر البراق حتى رجع وذكر أنه يركبه النبي ﷺ يوم القيامة دون سائر
الأنبياء واستدل له بما في شفاء الصدور. عن سويد بن عمران أن النبي ﷺ ذكر
من أحوال القيامة، فقال له رجل يارسول الله وأنت على العصابة يومئذ. قال
تلك تحشر عليها فاطمة ابنتي وأنا أحشر على البراق وأخص به دون الأنبياء.

وفي مجموع هذه الروايات ثبوت البراق وركبه ﷺ له وأنه من دواب
الجنة وأن الأنبياء ركبته فركوبه معجزة لم تثبت لغيرهم.

وهذا لا ينافي ما مرّ أول الكتاب. وفي رواية ابن عباس أن آدم خير بين
البراق والفرس فأختار الفرس، فقيل له اخترت عز ولذلك لما هو بين أن اختيار
آدم لما تنتفع به ذريته على العموم ولا بد عن أن يكون في علم الله أن البراق
تابع للفرس فلو اختار البراق ورد الفرس حرمهما.

ولما اختار الفرس أعطيهما فأعطى الفرس لجميع بنيه وأعطى البراق
لخواصهم فقط، وقولنا أعطى الفرس لجميع بنيه لا ينافي ما تقدم من أن أول من
اقتناها اسماعيل عليه السلام إذ كثير مما أعطيه آدم بعده بأزمان.

ونظير ذلك ما روى أن جبريل عليه السلام [أمرنا] أن نكون مع العقل

حيث كان ففاز بالجميع. وهذا من توفيق الله سبحانه لأبيائه.

كما ورد عن نبينا صلوات الله عليه وسلامه أنه أتى ليلة المعراج بثلاثة أقذاح قدح- من لبن، وقدح من غسل وقدح من خمر فشرب اللبن فقبل له أصبت الفطرة، لو شربت الخمر كفرت أمتك، ولو شربت الغسل لغوت أمتك فحمد الله سبحانه والله سبحانه الهادي.

[وأما بغاله] صار إليه ﷺ عدة من البغال. قال الحافظ الدمياطي ناقلاً عن ابن سعد أن النبي ﷺ لما رجع من الحديبية سنة ست أراد أن يكتب إلى الأطراف كما في الصحيح؛ فقالوا له أنهم لا يقرؤون كتاباً إلا محتوماً فاتخذ خاتماً من فضة فصفه منه. وفي رواية من عقيق نقشه محمد رسول الله ثلاثة أسطر وختم به الكتب. أى ووجه الرسل فخرج منهم ستة في يوم واحد وذلك في الحرم سنة سبع فبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي وكان أولهم، وبعث دحية بن خليفة الكلبي إلى هرقل. وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى. وحاطب بن أبي بلتعة اللخمي بنى عبد العزى إلى المقوقس. وشجاع ابن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبى شمر الغساني ملك دمشق وسليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي الحنفي باليمامة.

فأما عمرو بن أمية الضمري فذهب بكتاب رسول الله ﷺ. وصورته بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة. أما بعد فأني أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته القاها إلى مريم

البتول الطيبة الحصينة فحملت بعبسى فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده، وأنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالة على طاعته وأن تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى فأنى رسول الله وأنى أدعوك وجنودك إلى الله تعالى وقد بلغت ونصحت فأقبلوا نصيحتى والسلام على من اتبع الهدى.

وروى أنه كتب إليه بكتاب آخر يذكر له فيه أنه يزوجه بأم حبيبة بنت أبى سفيان لأنها كانت من مهاجرة الحبشة قبل ذلك.

كذا فى المواهب وعندى فيه نظر فأنى الذى زوج أم حبيبة برسول الله ﷺ هو النجاشى الذى هاجر إليه الصحابة أولاً وهو غير الذى كتب إليه النبى ﷺ هذا الكتاب بل هو بعد موت ذاك وهو الذى صلى عليه النبى ﷺ فى المدينة وقام بعده هذا الذى كاتبه النبى ﷺ لكن تاريخ زواج أم حبيبة كان سنة سبع على الأكثر وهو تاريخ هذه الرسالة فيؤكد ما فى المواهب والله أعلم.

قال عمرو فأخذ النجاشى الكتاب ووضع على عينيه ونزل عن سريره فجلس على الأرض ثم أسلم وشهد شهادة الحق. وقال لو كنت أستطيع أن آتية لأتيته، قال وزوجه بأم حبيبة بنت أبى سفيان وأمهرها بأربعمائة دينار من ماله عن النبى ﷺ ثم دعا بحق من عاج فجعل فيه كتابسى رسول الله ﷺ وقال لن تزال الحبشة بغير مادام هذا الكتابان بين أظهرهم ثم كتب جواب الكتاب إلى النبى ﷺ.

بسم الله الرحمن الرحيم؛ إلى محمد رسول الله من النجاشى اصحمة.

سلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته، الله الذى لا إله إلا هو.

أما بعد فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فما ذكرت من أمر عيسى فوزب السماء والأرض أن عيسى لا يزيد على ما ذكرت تفروقاً أنه كما ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به إلينا فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصداقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين.

والتفروق ما بين النواة والقشر. وروى انه أهدي له بغلة أيضاً.

وأما دحية الكلبي فأنطلق بكتاب رسول الله ﷺ إلى بصرى إلى العامل عليها من قبل هرقل وهو الحارث بن أبى شمر الغساني وكان على دمشق وغوطتها وما والاها. وكان من العرب فأرسله الحارث إلى هرقل، وكان إذ ذاك بيت المقدس.

فلما وقف على كتاب رسول الله ﷺ أمر بأنزال دحية وإكرامه إلى أن كان من أمره ما رواه البخارى فى أول صحيحه من رواية ابن عباس رضى الله عنهما عن أبى سفيان الخ.

وأما عبيد الله بن حذافة فكتب له رسول الله ﷺ إلى كسرى.

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى كسرى عظيم الفرس. سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله فإني رسول الله إلى الناس كلهم لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم فإني أبيت وتوليت فإني عليك أثم المجوس.

وأمره بدفعه إلى عظيم البحرين ودفعه عظيم البحرين إلى كسرى فلما

قرأه مزقه فدعا عليهم رسول الله أن يمزقوا كل ممزق، وفي رواية مزق الله ملكه فكان كذلك وصاروا عبرة للناس كما هو مشروح في كتب السير.

وأما شجاع بن وهب الأسدي فذهب كتاب رسول الله ﷺ إلى الحارث الغساني ونسخة الكتاب. بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى الحارث بن أبي شمر. سلام على من اتبع الهدى فأمن بالله وصدق وأنى أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له ، يبقى لك ملكك ولم يحضرنى الآن جوابه.

وأما سليط فذهب بكتاب رسول الله ﷺ إلى صاحب اليمامة هوذة بن على ونسخة الكتاب. بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هوذة ابن على سلام على من اتبع الهدى. واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر، فأسلم تسلم وانجعل لك ما تحت يدك فلما قدم عليه أنزله وجاه وقرأ كتاب رسول الله ﷺ فرداً دون رد وكتب إلى النبي ﷺ ما أحسن إليه وأجمله والعرب تهاب مكاني فأجعل لي بعض الأمر أتبعك. وأجاز سليطاً بجائزة وكساه أثواباً من نسج هجر فقدم بذلك كله على النبي ﷺ فأخبره وقف على كتابه.

وقال لو سألتى سبابة من الأرض ما فعلت باد وباذ ما في يده، فلما انصرف ﷺ من الفتح أخبره جبريل بأن هوذة مات .

وأما حاطب فذهب إلى المقوقس صاحب الإسكندرية عظيم القبط بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه وقال له خيراً وأخذ الكتاب وجعله في حق من عاج وختم عليه ودفعه إلى جاريتته وكتب إلى النبي ﷺ كتاباً فيه قد علمت أن

نبياً من الأنبياء قد بقى و كنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك
و بعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القط عظيم. وقد اهديت لك كسوة وبغلة
تركبها ولم يزد على هذا ولم يسلم.

فقبل رسول الله ﷺ هديته وأخذ الجاريتين مارية أم ابراهيم ابن النبي ﷺ
وأختها سيرين وبغلة بيضاء لم يكن في العرب يومئذ غيرها وهى دلدل والدلدل
عظيم القنafd. والدلدل الاضطراب وقد تدلدل أى تحرك متديلاً وقال النبي ﷺ
« ضن الحبيث بملكه ولا بقاء لملكه » .

وقال حاطب كان لى مكرماً فى الضيافة وقلة المكث ببابه ما أقمت عنده
إلا خمسة أيام.

وذكر فى رواية أخرى أنه أهدى مع هذه الأشياء ألف مثقال من
الذهب وعشرين ثوباً وحماره يعفور وخصى شيخ كبير كان أخاص، وفى رواية
ابن عم مارية وإن حاطب عرض على مارية وأختها الإسلام. ورغبهما فيه
فأسلمتا وأقام الخصى على دينه حتى أسلم بالمدينة بعد فى عهد رسول الله ﷺ.

وذكر أيضاً قالت كانت دلدل بغلة رسول الله ﷺ أول بغلت رؤيت
فى الإسلام أهداها له المقوقس وأهدى له معها حماراً يقال له عفير وأما بقيت
إلى زمن معاوية، ويقال أنها كانت بعد رسول الله ﷺ لعلى رضى الله عنه وأنه
ركبها، ثم ركبها الحسن ثم ركبها الحسين، ثم ركبها محمد بن الحنفية ثم كبرت
وعميت فوقعت فى مبطخة لبعض بنى مذبح فخبطت فيها فرماها بسهم فقتلها.

وذكر الحافظ عبد الغنى المقدسى أن بغلته دلدل كان يركبها فى

الأسفار عاشت بعده حتى كبرت وزالت أسنانها وكان يحش لها الشعر وماتت
ينبع، وحمارة يعفور مات بحجة الوداع.

وروى مسلم من حديث أبي حميد الساعدي. قال غزونا مع رسول الله
ﷺ تبوك فذكر الحديث، وقال فيه وجاء رسول ابن العلماء صاحب ابلة إلى
رسول الله ﷺ بكتاب وأهدى له بغلة بيضاء فكتب إليه رسول الله ﷺ وأهدى
له برداً.

ورواه البخاري وفيه وكتب له يخبرهم. قال ابن سعد: وبعث
صاحب دومة الجندل لرسول الله ﷺ ببغلة وجبة من سندس فجعل أصحاب
رسول الله ﷺ يتعجبون من حسن الجبة فقال رسول الله ﷺ لمناديل سعد بن
معاذ في الجنة أحسن يعني من هذا.

وعن ابن سعد أنه روى عن زامل بن عمر. قال أهدى فروة بن عمرو
إلى النبي ﷺ ببغلة يقال لها الفضة فوهبها لأبي بكر رضي الله عنه.

ومثله عن البلاذري وقدمنا ذكره وأنه أسلم. وروى إنما كانت تسمى
الشهباء ويقال أنها هي الدلدل كما سبق وأن التي أهداها المقوقس كان اسمها
الفضة. وكان لرسول الله ﷺ حماران يعفور وعفيرة أحدهما أهداه المقوقس والآخر
فروة بن عمرو الجذامي وأحدهما مات منصرفة من حجة الوداع والآخر قال
السهيلى كغيره يبقى إلى يوم وفاة النبي ﷺ فطرح نفسه في بئر فتردى. وذكر
ابن فورك في كتاب الفصول أنه كان من مغنم خيبر وأنه كلم النبي ﷺ وقال
يارسول الله إنا زياد بن شهاب وقد كان في آبائي ستون حماراً كلهم ركبهم نبي

فاركبني أنت. قال وزاد الجويني في الشامل أن النبي ﷺ كان إذا أراد أحداً من أصحابه أرسل هذا الحمار فيذهب حتى يضرب برأسه الباب فيخرج الرجل فيعلم أنه أرسل إليه فيأتي النبي ﷺ. وكانت له بغلة يقال لها الأيلية أهداها إليه ملك إيلة وكانت طويلة محذوفة كأنما تقوم على رمال حسنة السير فأعجبته ووقعت منه وهي التي قال له على رضى الله عنه كأن هذه البغلة قد أعجبتك يارسول الله قال نعم قال لو شئنا لكان لك مثلها. قال وكيف قال هذه أمها فرس عربية وأبوها حمار ولو أنزينا حماراً على فرس لجاءت بمثل هذه، فقال إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون، وفي رواية لا يعقلون. وعن ابن عباس رضى عنهما كان عبداً مأموراً ما اختصنا دون الناس بشئ إلا بثلاث أمرنا أن نسيغ الوضوء وأن لا نأكل الصدقة وأن لا نترى حماراً على فرس.

وعن عبد الله بن حسن أنه قال كانت الخيل في بني هاشم قليلة فأحب النبي ﷺ أن تكثر فيهم فهى عن انزاء الحمر عليها لذلك. وبه أخذ جمهور الفقهاء من جواز انزاء الحمر على الخيل. وقال بعضهم بالكراهة وبعضهم بالتحريم للأحاديث السابقة. وكان له ناقة اسمها القصوى. أخرج الحافظ بسنده الصحيح أن علياً كرم الله وجهه. قال كان اسم فرس النبي ﷺ المرتجز وبغلته دلدل وناقته القصوى وحماره عفير ودرعه الفضول وسيقه ذو الفقار.

وذكر عن ابن سعد قال كانت القصوى من نعم بني الحريش ابتاعها أبو بكر وأخرى معها بثمان مائة درهم فأخذها رسول الله ﷺ بأربعمائة فكانت عنده حتى نفقت وهي التي هاجر عليها وكانت حين قدوم رسول الله ﷺ المدينة رباعية وكان اسمها القصوى والجدعاء والعضباء وفي رواية كان في طرف أذنها

جدع وكانت لا تسبق وكانت صهباء وقيل شهباء. وروى أيضاً عن سلمة بن
نبيط عن أبيه قال رأيت رسول الله ﷺ في حجته بعرفة على جبل أجمر. وقد
يطلق الأحمر ويراد به الأبيض كما يقال الأسود والأحمر أى العرب والعجم،
والحمراء والأحامرة العجم لأن الشقرة أغلب الألوان عليهم وهو البياض
والصهبة الشقرة فالصهباء الشقراء والقصواء المقطوعة من طرف أذنها.
والعضباء المشقوقة الأذن، والجدعاء المقطوعة الأنف أو الأذن أو اليد والشفة
ولم تكن عضباء وإنما كان ذلك اسماً لها.

قال الجوهري تسمى القصوى ولم تكن مقطوعة الأذن انتهى.

والظاهر أن جميع ذلك أسماء لها ولم يكن فيها شئ من ذلك لكنه قد
سبق أنه كان بطرف أذنها جده، وهى رواية ابن سعد عن محمد بن عمر قال
حدثني ابن أبي ذئب عن يحيى بن يعلى عن ابن المسيب مرسلاً. وكان لرسول
الله ﷺ جبل يقال له الثعلب اركبه عثمان يوم الحديبية ليبلغ عنه أشراف مكة ما
جاء له فعقروه وأرادوا قتل عثمان فمنعته الأحاديث وكان لرسول الله ﷺ
عشرون لقحة بالغابة وهى على بريد من المدينة على طريق الشام فأغار عليها
عيينة بن حصن فى أربعين فارساً فاستاقوها وقتلوا ابن أبى ذر راعيها ثم ركب
رسول الله ﷺ حتى انتهوا إلى ذى قرد والقرد البصوف الردى فاستنقذوا منها
عشراً وأقلت القوم بما بقى. كذا نقل الحافظ والصحيح به استنقذها كلها
منهم سلمة بن الأكوع قبل أن تدرك خيل رسول الله ﷺ كما هو فى صحيح
مسلم بطوله وذلك فى ربيع الأول سنة ست.

وكان له ﷺ خمسة عشر لقحة غرازاً وكانت بذى الجدر ناحية قبا قريباً من عير على ستة أميال من المدينة وهي التي استاقها العرنيون وقتلوا يساراً ولى رسول الله ﷺ غدراً فبعث كرز بن جابر الفهري في عشرين فارساً فأدركوهم وربطوهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينة فقطعت أيديهم وأرجلهم وسلمت أعينهم وصلبوا وفيهم نزلت ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (١) الآية. وذلك في شوال سنة ست ولم يفقد منها إلا لقحة واحدة تسمى الحناء قيل نحروها. وكان منها لقحة تدعى مهرة كانت غزيرة أرسل بها سعد بن عبادة من نعم بنى عقيل وأخرى بردة تحلب كما تحلب لقحتان غزيرتان أهداها له الضحاك بن سفيان الكلابي. ومنهن الشقراء والرياء والسمرء والعريس واليسيرة والحناء وهي التي فقدت. وغنم رسول الله ﷺ يوم بدر جمل أبي جهل وكان مهرباً يغزو عليه ويضرب في لقاحه ذكره الطبرى. وعن ابن عباس أن النبى ﷺ أهداه عام الحديدية وكان في رأسه برة من فضة ليغيظ بذلك المشركين. ذكره ابن اسحاق. والبرة حلقة تجعل في أنف البعير. وقوله أهداه أى نحره تقرباً لله تعالى لأجل النسك. وكانت لرسول الله ﷺ من الغنم مائة شاة لا يريد أن تزيد كلما ولد الراعى بهمة ذبح مكانها شاة.

قال ابن الأثير: كانت له شاة تسمى غوثة أو غيثة وعتر تسمى اليمن.

وذكروا أن مكحولاً سئل عن جلد الميتة. فقال كانت لرسول الله ﷺ

شاة تسمى قمر ففقدتها يوماً فقال ما فعلت قمر فقالوا ماتت يارسول الله.

(١) سورة المائدة الآية ٣٣.

قال ما فعلتم بأهأبها قالوا ميتة قال دباغها طهورها قال وكانت منايح رسول الله ﷺ من الغنم سبعاً عجرة ورمزة وسقيا وبركة وورشة واطلال وأطواف. وعن ابن عباس كانت لرسول الله ﷺ سبعة أعر منايح. والمنايح جمع منيحة وهي التي يعطيها الإنسان غيره ليأكل لبنها ويردها والله أعلم.

وزروى الثعالبي في تفسيره في الأنعام في قوله ﴿ وَإِنْ يَمْسُكِ اللَّهُ بُضْرًا فَلَإِنَّ لَهَا فَرْجًا وَرِيشًا ﴾ (١) من حديث عبد الله بن ميمون القداح عن شهاب ابن خراش عن عبد الملك بن عمير عن ابن عباس قال أهدى للنبي ﷺ بغلة أهداها له كسرى فركبها بججل من شعر ثم اردفني خلفه ثم سار بسى ملياً فقال لي يا غلام قلت لبيك يا رسول الله. قال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة إذا سألت فاسئل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، وقد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلاق أن يتفোক بما لم يقضه الله لك لما قدروا عليه ولو جهدوا إن يضروك بما لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه؛ فإن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فإن لم تستطع فاصبر فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً واعلم أن النصر مع الصبر، وأن مع الكرب الفرج، وأن مع العسر يسراً.

وإنما أوردت هذه الوصية وختمنا بها هذا الكتاب لما تضمنته من الفوائد والآداب التي يدور طريق القوم جميعه عليها ولو تأملها الإنسان حق التأمل كانت تمام الأرشاد. أما قوله أهداها له كسرى ففيه نظر إلا أن يكون المراد به ابن يزدجرد الذي كاتبه النبي ﷺ فإنه قام بعد أبيه، وقوله فركبها بججل من شعر فيه ما كان عليه رسول الله ﷺ من التواضع والزهد في الدنيا وعدم

(١) سورة الأنعام الآية ١٧.

المبالاة بشئ منها، وهو أول مراتب القوم فإنه لا يصح الدخول في طريقهم إلا بعد إخراج الدنيا من القلب وعدم المبالاة بها والأهتمام بشأها ونزع همها بالكلية ليتوجه القلب إلى مطلوبه إذا القلب ليست له إلا وجهة واحدة كالمراة إذا توجه إلى جهة اعرض عن غيرها. مصداقة من كتاب الله سبحانه ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾^(١) وكذلك يقولون أول قدم يضعه المرید في طريقنا الزهد في الدنيا فهو أصل الأصول الذي تبني عليه جميعها وهو كان حاله صلوات الله وسلامه عليه وحال الأنبياء كلهم وأكابر أصحابه وأعيان السلف رضوان الله عليهم أجمعين.

بل هذا مقتضى العقل فضلاً عن الشريعة والطريقة ومحل بسط ذلك كتب القوم. واتفق الفقهاء أن الإنسان إذا أوصى بشئ من ماله لأعقل الناس يصرف إلى الزهاد. وقوله اردفني فيه جواز الأرداف على الدابة بل استحبابه لواحد وكراهته لأثنين لنهى فيه وهو من التواضع الذي هو الأصل الثاني في الطريق لأنه ورد [لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر] والجنة تشمل دار الأبرار الذي هو مقام الإسلام والإيمان فكيف بمن يريد مقام المقربين الذي هو مقام الإحسان أن ينال منه شيئاً مع شئ من الكبر فلا بد في طريقنا من التواضع الذي أوله عدم احتقار أحد من المسلمين وقبول الحق ممن جاء به وغايته أن يرى نفسه دون كل جليس. ومن تتبع أخلاق رسول الله ﷺ وسيرته الشريفة علم أنه أخذ من التواضع بالعروة الوثقى واكتال منه بالمكيال الأوفى.

(١) سورة الأحزاب الآية ٤.

وضرب فيه بالقدح المعلى بل احتوى منه على الغاية التي لا تدانى فإن الطريق
 عبارة عن اتباعه صلوات الله وسلامه عليه في أقواله وأفعاله وأخلاقه. واتباعه
 في الأخلاق هو الغاية التي تسابق إليها هم القوم فمنهم المجلى في مضمارها
 والمصلى بخلاف علماء الظاهر فإن جل نظرهم إلى ما هو مناط الأحكام من
 أقواله وأفعاله وتركوا التخلق إلا نادراً حتى ان المتخلق منهم يسمى بينهم
 صوفياً فالحمد لله على ذلك حمداً كثيراً. وهذا أعظم سند كسرف هذه الطائفة
 ومرادنا بهم من لم يتجاوز حداً من حدود الظاهر بل مع رعاية الأحكام الظاهرة
 بأسرها ترقى إلى التخلق بالأخلاق الباطنة بحسب ما قدر له منها فهذا هو
 الصوفي وطريقهم رعاية أخلاق رسول الله ﷺ بحسب طاقتهم بعد المحافظة على
 ما حافظ عليه غيرهم من الأقوال والأفعال . فمن ذلك ما أشار إليه هذا
 الحديث الشريف بقوله: أحفظ الله يحفظك ، ففي احفظ الله مقدر بدلالة
 الاقتضاء وأولى ما يقدر وصية الله لأنها المعارف بمتعلق الحفظ. ووصية الله
 للعالمين التقوى قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ
 وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (١) فيكون معنى احفظ الله حافظ على تقوى الله أو
 حق الله لما في حديث الصحيح عن معاذ بن جبل تدرى ما حق الله على العباد
 قال قلت لله ورسوله أعلم قال فإن حق الله على العباد أن يعبدوه لا يشركوا
 به شيئاً. يامعاذ بن جبل هل تدرى ما حق العباد على الله من باب المشاكلة
 اللفظية إذ لا يستحق أحد على الله شيئاً لأنه المالك لأنفس العباد وأعمالهم بل
 هو الخالق لذلك كله فتواب العباد تفضل. ونكتة المشاكلة بعد التجنيس

(١) سورة النساء الآية ١٣١ .

اللفظى التأكيد كقوله ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾^(١) فيؤدل المعنى في قوله احفظ الله ولا تشرك بالله شيئاً تسلم من عذابه. ومآل التأويلين واحد فإن التقوى فى الأصل اتخاذ الشئ وقاية. ولها مراتب أولها توى الشرك وأعلاها توى الألتفات بعين البصيرة لغير الله تعالى كما بينا ذلك فى تفسير سورة ﴿ سَبَّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾^(٢) فأما تؤل. إلى عدم الأشراك بالله شيئاً فإن المعاصر كلها من شعب الكفر الذى هو الشرك كما أن الطاعات كلها شعب الإيمان بل المكروهات وخلاف الآداب الشرعية جميعها من قطرات الشرك وآثاره إذ الموحد حقيقة التوحيد لا يصدر منه ترك أدب أصلاً وعمداً وان صدر منه فعلى سبيل السهو والخطأ ويتداركه الله برحمته بحكم قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾^(٣) فأنظر هذه الإشارة فى قوله تذكروا.

وروى فى تفسير قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾^(٤) أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وعلى هذا ربما كان تقدير الوصية وحملها على التقوى. والتقوى على كمالها أعم من تقدير الحق إذا فسر بعدم الأشراك بالله شيئاً وإن حمل الحق على اطلاقه تناول ما تناولته حقيقة التقوى من الشكر والذكر أيضاً فالأى إلى شئ واحد وقوله يحفظك الله أى من

(١) سورة الأنعام آية ٥٤.

(٢) سورة الأعلى الآية ١.

(٣) سورة الأعراف الآية ٢٠١.

(٤) سورة آل عمران الآية ١٠٢.

عذابه وحذف متعلق الفعل للعموم أى من كل أنواع عذابه أو من كل ما تخشاه أو يؤذيك وكله واحد فأن كل مكروه ومؤذ فهو من عذاب الله تعالى دنيوياً كان أو أخروياً فمن اتقى الله حق تقواه أو حفظ حقوقه كلها لم ينله من جنس العذاب مكروه أبداً. فأن قلت كيف يمكن حمل هذا على عمومته مع أن النبيين صلوات الله عليهم وسلامه ورؤساء المتقين الحافظين لحقوق الله سبحانه وحدوده ومع ذلك اصابتهم في الدنيا إلمن العظيمة والمكروهات الجسيمة وقد قلت أهما كلها من العذاب قلت ليس كل مكروه للنفس من العذاب كما أنه ليس كل محبوب من النعم يدل لذلك الحديث الشريف « لا خير بخير بعده النار »^(١) فكذلك يلزم أنه لا شر بشر بعده الجنة فكل خير تعقبه النار لا يسمى خيراً إلا مجازاً أو غلطاً. وكذلك كل شر تعقبه الجنة لا يسمى شراً إلا كذلك فما أصاب النبيين والصدقيين وأشباههم من المكروهات ليس من الشر والعذاب في شئ بل هو النعم والنعيم الظاهر في غير صورته ولذلك كان كثير من أهل الله يتلذذون بالبلاء ويؤذيهم فراقه كما هو عنهم مشهور وفي أخبارهم مسطور قال قائلهم:

وكم محنة في طيها منك منحة يشاهدها من ليس يلهو يغفل

وقال الفاضل الأبوصيرى^(٢) رحمه الله تعالى في همزته:

كل أمر ناب النبيين فالشدة فيه محمودة والرخاء

(١) رواه الدارقطنى.

(٢) صاحب الردة.

لو عيس النضار هون من النار لما اختير للنضار الصلاة

ولله دره فقد افصح عن كثير من الحقائق في نظمه هذا. رجع إلى ما تحت ألفاظ الحديث ومما يؤيد ما ذكرناه ما روينا في الحلية لأبي نعيم عن رسول الله ﷺ أنه قال الصواعق تصيب المؤمن والكافر ولا تصيب الذائر فيقاس بالصواعق غيرها من المحن فلا يصيب الذائر منها شيء ولا يصاب أحد بسوء إلا مع الغفلة إذا كان من جنس العذاب والعياذ بالله. وذكر الله فحواه حضور القلب فلو كان ذاكراً بلسانه غافل القلب لا يسمى ذاكراً حقيقة وإذا كان حاضر القلب فهو ذاكراً وإن كان ساكت اللسان. ومن يراعى حدود الله ويتقيه هو الذكر على الحقيقة فهو في حسن الله من عذاب الله يشهد لذلك ما نقله العلامة ابن حجر الهيثمي وغيره. قال: لما دخل على الرضا مدينة نيسابور خرج العلماء إلى لقائه وكان على بغلة وعلى رأسه مظلة من الشمس غطى بها وجهه وكان فيمن خرج إليه حافظ الدنيا أبو زرعة الرازي فلما تلاقيا سأله الحافظ أن يقف لهم ويسفر عن وجهه المبارك ويعلمى لهم حديثاً عن آبائه الطيبين ليرووه عنه فوقف ورفع المظلة عن وجهه وأقر العيون بطلعه فصار الناس بين صارخ وباك، وبتمرغ على الأرض أما بغلته فتأداهم المستملى معاشر الناس انصتوا وأسمعوا حديث رسول الله ﷺ فقال حدثني أبى موسى الكاظم بن جعفر قال حدثني أبى جعفر الصادق بن محمد قال حدثني أبى محمد الباقر بن على قال حدثني أبى على زين العابدين الحسين. قال حدثني أبى الحسين بن على بن أبى طالب قال حدثني أبى على بن أبى طالب رضوان الله عليهم أجمعين. قال حدثنا رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام عن الله عز وجل أنه

قال لا إله إلا الله حصني فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصني أمنته من عذابي. قال الإمام أبو نعيم قال بعض سلفنا من المحدثين لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق. أقول إنما سقته هنا رجاء بركته أحياناً الله على محبتهم وحشرنا في زمرةم اللهم آمين.

وقوله احفظ الله تجده أمامك جملة تذييلية لتأكيد مضمون الأولى وقد يسمى مثله بالترديد كقوله ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾^(١) وهو أن يعلق الثاني بغير ما علق به الأول وبه فارق التكرير. والضمير في تجده يجوز ارجاعه إلى الله وإلى المضاف المقدر وإلى المصدر المعلوم من الفعل السابق وعلى الأخير لا يحتاج إلى تقدير وعلى الأولين لابد من تقدير مضاف أيضاً فعلى الأول مثل عونته ونصرته وعلى الثاني جزاءه ونحوه. ومعنى أمامك أى فيما تستقبله أو حاضراً لديك فهو مجاز عن الزمان أو كناية عن الحضور فيكون كقوله أنا مع عبدى إذا ذكرنى كما فى الصحيح وقوله «تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة» يعنى أن النفوس البشرية بما فى جبلتها من الفطرة الالهية إذا اشتد بها الكرب وضاق الخناق رجعت إلى الله تعالى بالتضرع والدعاء. وليس فى هذا فضل المؤمن على كافر فإن الكفرة هذا رأيهم أيضاً كما أخبر عنهم القرآن العظيم بذلك فى غير موضع وربما أجبوا فى هذا الحال مع كفرهم إقامة للحجة عليهم وقطعاً للمعذرة وربما لا كما قيل لفرعون ﴿أَلَا نَ وَقدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢)

(١) سورة النور الآية ٣٥.

(٢) سورة يونس الآية ٩١.

فأنه ما قال ﴿ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾ (١) إلا مستغيثاً من الغرق، وإنما لم يجب لأنه كان تكرر منهم العهد لموسى عليه السلام لما كان يرسل الله عليهم نوعاً من العذاب كالجراد والقمل أنه إن دعا الله وكشف عنهم ذلك ليؤمنن به كما قص الله شأنهم وعذروا فأرشد نبينا صلوات الله وسلامه عليه في هذا الحديث إلى أنه لا ينبغي للمؤمن أن يكون غافلاً عن الله حتى تتزل به الشدة فيستغيث حينئذ فرما لا يجاب مجازاة له على إهماله ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ (٢) اعرضوا عن الله فأعرض عنهم، بل يكون في حال الرخاء شاكراً ذاكراً فأذا قضى عليه بشدة حفه اللطف من كل جانب حتى تمر تلك الشدة المقضية وكأنه لم يشعر بها، بل ربما يشعر فالتعرف إلى الله تعالى في الرخاء الشكر عليه والاستعانة به على طاعة الله تعالى وعدم الأشتغال به عن ذكره فأذا قضى على العبد بعده بشدة كان حقاً على الله أن يلطف به فيها ويحييه إذا دعاه بكشفها. وأما نفس الشدة فحق الله سبحانه على العبد فيها الصبر، وإن ترقى إلى الرضى فهي الغاية القصوى والصبر والرضى لا يعطاهما العبد في الشدة إلا إذا كان ممن يتعرف إلى الله في الرخاء فقد بشر الله على الصبر بما تستعذب به مرارته فقال سبحانه ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (٣) الآية.

وأما الرضا فجزاؤه الرضا الذي هو أفضل الجزاء ﴿ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (٤) فإذا كان العبد في الرخاء

(١) سورة يونس الآية ٩٠.

(٢) سورة التوبة الآية ٦٧.

(٣) سورة البقرة الآية ١٥٥.

(٤) سورة فصلت الآية ٣٥.

كذلك حقه اللطف في الشدة كما قلنا ونزلت عليه السكينة وألهم الصبر والرضا وإن دعا استجيب له ولا ينافي الدعاء الصبر ولا الرضا كما هو معلوم من شأن الأنبياء. والجمللة أى قوله [تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة] استعارة تمثيلية وفي كل من الفعلين استعارة تبعية وقوله إذا سألت فاسئلي الله ترق في الإرشاد وإشارة إلى أن العبد أول ما يجب عليه بعد معرفة الله تعالى رعاية حقوقه بحسب الاستطاعة واستفراغ الوسع للقيام بذلك . فإذا فعل ذلك وقد خلق مفتقراً إلى ما يقيم أوده ويمسك بنيته فلا بد من طلب ذلك والظاهر أنه بأيدي الخلق لأن الإنسان يولد وما على وجه الأرض شئ إلا وهو في يد إنسان حريص عليه شحيح به وينشأ كذلك فرما توهم أنه لا بد له من طلب ذلك منهم أو من نفسه بتكليفها تحصل شئ من ذلك. وهذا يشغله عما طلب منه أولاً فأرشد إلى أن ذلك جميعه بيد الله سبحانه وتعالى هو وملاكه الظاهرة (هكذا) ليس إلى أحد منهم نفع ولا ضرر فإذا أراد أن يسأل شيئاً من ذلك وهو سائل ولا بد لأفتقاره ولذلك صدرت الشرطية بأذا المشعرة بتحقيق الوقوع فليسأل من يبيده ذلك وليس إلا الله عز وجل. وكذلك الإنسان مدني بالطبع لا يتم له أمر معاشه ولا معاده بنفسه بل لا بد له من الاستعانة بغيره فقبل له [وإذا استعنت فاستعن بالله] فإن الخلق نواصيهم بيده إن شاء أقبل بهم عليك وإن شاء صرفهم عنك فلا تشغل نفسك بهم وكل من الجملتين تفيد الحصر لأنهما بمعنى لا تسأل غلا الله تعالى ولا تستعن إلا به كما لا يخفى تحقيقه أن أدوات الشرط تفيد العموم فيكون المعنى كلما أردت السؤال فاسئلي الله فيفيد بمعونة المقام أن لا تسأل سواه. وهذه مرتبة أخرى في مراتب السلوك فإنه لا بد لك

من قطع النظر عن الخلق رأساً وهو المقام المسمى بالتوكل المنوه بشأنه في القرآن العظيم لاسيما قوله تعالى ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١) فلا بد من تصحيح التوكل وهو عدم اعتماد القلب على شئ من الأسباب وعلامة ذلك عدم اضطرابه عند فقدانها ل يتم له التوجه إلى الله تعالى وإلا فما دام يرجو شيئاً غير الله أو يخافه لا بد وأن يشتغل القلب به وقد قدمنا أن القلب إذا توجه إلى شئ أعرض عما عداه فأين التوجه إلى الله مع ملاحظة سواه وهذا أصل عظيم من أصول الطريق حتى ربما كابد به بعضهم السنين ذوات العدد وذلك لبعده عن الطبع إذ النفس محبولة على التشبث بما تتوهم منه النفع والتوقى عما تتوهم منه الضرر والأسباب العادية نصب عينها تشاهدها دائماً يصدر عنها من النفع والضرر ما تعابنه، والشيطان والهوى يساعدان الطبع على الميل إلى الأسباب والتشبث ولم يبق إلا العقل المنور بنور الإيمان فإنه إذا حقق النظر علم أن جميع ما يظهر له الأمر بخلافه. والدلائل العقلية متوافرة على ذلك وهذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية طافحة بذلك فالتوكل يكون عن الإيمان بالقدر فهو رتبة من رتب الإيمان وضعفه وقوته بقدر الإيمان بالقدر وزناً بوزن وبسط ذلك وتحقيقه في كتب القوم ومن أظهر الأدلة الصادرة عن مشكاة النبوة هذا الحديث وقد حققه بقوله قد قضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلاق أن ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضروك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا أن يضروك بما لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه. قوله قد مضى القلم أى جرى أو مضى حكمه

(١) سورة المائدة الآية ٢٣.

وإضافة الحكم إليه من مجاز الإسناد ففيه حيثد مجازان وعلى الأول مجاز واحد وفيه دليل لسبق القضاء وهو الحكم الأزلى على الأشياء بما هي عليه فيما لايزال. واختلفوا هل يرجع إلى العلم أو الفعل أو الإرادة ذهب إلى الأول الفلاسفة وإلى الثاني الماتريدية، وإلى الثالث الأشاعرة وهل هو والقدر مترادفان أولاً الأكثر على الثاني فقال الفلاسفة القضاء عبارة عن علمه تعالى بما ينبغي أن يكون عليه الوجود حتى يكون على أحسن النظام وأكمل الانتظام وهو المسمى عندهم بالعناية الأزلية التي هي مبدأ لقيضان الموجودات من حيث جملتها على أحسن الوجوه وأكملها والقدر عبارة عن خروجه إلى الوجود العيني بأسبابها على الوجه الذى تقرر فى القضاء. وقال الماتريدية القضاء هو الخلق والقدر جعل كل شئ على ما هو عليه فالفرق بينهما كالفرق بين المطلق والمقيد. وقال جمهور الأشاعرة القضاء هو الإرادة الأزلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص. والقدر تعلق تلك الإرادة بالأشياء فى أوقاتها المخصوصة كالأجمال والتفصيل، والنظر بين هؤلاء يخرج بنا عن الصدد. ثم فرغ على ذلك قوله فلو جهد الخلاق الخ. ومعناه ظاهر والجملة بأسرها كالتعليل لقوله إذا سألت فاستل الله وإذا استعنت فاستعن بالله.

وقوله فأن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فأن لم تستطع فاصبر فأن فى الصبر على ما تكره خيراً كثيراً. الفاء فصيحة أى إذا علمت ذلك فاعمل بالصبر، إذا نزل بك أمر حتى يكون الذى أنزله هو الذى يرفعه مع اليقين أنه ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١)

(١) سورة الأنعام الآية ١٧.

وهذا هو الغاية في مقام الصبر أن يصحبه اليقين وهو الذى يهون الصبر على الصابرين فقلوه (فإن لم تستطع فاصبر) الخ إشارة إلى أن أشق الأمرين اليقين إذ اليقين إذا حصل فالصبر فرع له وأنه مقام المقربين لأنه من مقامات الأبرار: ولذلك قال [فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً] من ذلك أنه يثمر الرضا بالتمرن عليه ومحبة الله تعالى كما قال ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾^(١) إلى غير ذلك من الثواب الجزيل والثناء الجميل حتى ورد أن كل عمل له ثواب بقدر إلا الصبر فإن ثوابه غير محدود قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَقِّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢) والصبر أعظم أصول الطريق الذى لا يستغنى عنه السالك من ابتداء سلوكه إلى انتهائه حتى يترقى عنه إلى الرضا الذى هو روحه.

ثم أن النبي ﷺ حرض عليه بقوله واعلم أن النصر مع الصبر وذلك لأن الصبر حبس النفس على ما تكره ففيه التبرى من الحلول والقوة ورد الأمر إلى الله تعالى وحينئذ يتحقق النصر أما في الآفاق ﴿فَمَا النَّصْرَ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾^(٣) ليس بالقوة والكثرة واستتراله ليس له أنفع من التبرى من الحول والقوة وشواهد أمثاله كثيرة شهيرة. وأما في الأنفس فإن حبس النفس فيه كسر جنود الهوى ونصر جيوش العقل والهوى وقوله ﷺ وإن مع الكرب الفرج مؤكداً لمضمون الأول لأنه إذا تحقق الأنسان قرب الفرج احتمال مشقة الكرب. فصبر ومثلثه ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(٤) فإن قلت كيف يقارن الفرج الكرب واليسر العسر،

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٦

(٢) سورة الزمر الآية ١٠ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٢٦ .

(٤) سورة الشرح الآية ٥ .

وما معنى هذه المعية قلت قالوا في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(١) أنه مبالغة في تقريب اليسر وتعقبه حتى كأنه معه فقيه استعارة تبعية كذا قال الشهاب (الخطافي) في حاشيته شبه التقارن فيه بالتقارب فاستعير لفظ مع بمعنى بعد وليست تبعية كما توهم انتهى.

وكأنه يقول أنها استعارة ظرف لظرف فهي تصريحية لا حرف لحرف ولك أن تقول القائل بالتبعية أراد أنه استعير مع الحرفية لمعنى الفاء التعقيبية وعلى كل ففي الكلام تجوز ولو حمل على حقيقته وأريد بالفرج واليسر لطف الله سبحانه وتعالى بالعبد فإنه لا ينفك عن القدر كما قال العارف ابن عطاء الله:

من ظن انفيكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره

فلطف الله تعالى يقارن المصائب والكرب وهو عين الفرج واليسر لكنه باطن وهذه ظاهرة تنجلي ويبدو من تحت حجابها شمس السرور والفرح.

والحمد لله أولاً وآخراً باطناً وظاهراً له الحمد في الأولى والآخرة نسأله دوام الطاقة الوافرة واسباغ آلائه الباطنة والظاهرة، وبتمامها بالتوفيق للشكر عليها المنتج للمزيد أن يغمرنا في تيار الرضا بقضائه المديد، وأن يلحقنا بالسابقين وأن يحشرنا في موكب المقربين، وأن يختم أعمالنا بما يرضيه عنا ..

انه أرحم الراحمين والحمد لله رب العالمين

(١) سورة الشرح الآية ٤.

obeikandi.com

المصادر والمراجع

- ١- أنساب الخيل - لابن الكلبي توفى سنة ٢٠٤هـ - الدار القومية بالقاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م تحقيق أحمد زكى.
- ٢- الخيل - لأبي عبيدة معمر بن المثنى توفى سنة ٢٠٩هـ - الطبعة الأولى الهند ١٣٥٨هـ.
- ٣- الخيل - للأصمعي توفى سنة ٢١٥هـ . مجلة كلية الآداب - العدد الثاني عشر ١٩٦٩م تحقيق د. نوري حمودى القيسى - بغداد.
- ٤- فضل الخيل - للحافظ الدمياطى توفى سنة ٧٠٥هـ الطبعة الأولى - حلب ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م بعناية محمد راغب الطباخ - حلب.

obeikandi.com

الفهرس

رقم الصفحة

- ٣ مقدمة المؤلف
- ٧ مقدمة المحققه
- ١٣ الباب الأول: في أصل خلقها واشتقاق اسمها وأول من اقتناها وما قيل في الفرق بين ذكرها وأنهاها.
- ٤٧ الباب الثاني: في فضل اقتنائها وإعدادها للجهاد وما ورد في ذلك من مواقع النجوم الأعجاز وتفسيره بوجوه الأيجاز.
- ٦٥ الباب الثالث: في الأحاديث الواردة فيها (وفيه فصول) في تقليدها القلائد وخدمتها بالنفس واحتباسها في سبيل الله وفضل ذلك.
- ٧٣ فصل في احتباسها في سبيل الله وما يتصل به.
- ٨٣ الباب الرابع: فيما يتعلق بها من الأحكام. من ذلك الزكاة.
- ١٠٣ الباب الخامس: في أحكام السباق عليها وما ورد في ذلك وأسماء خيل السباق وما يلتحق به.
- ١١٣ فصل في بقية أحكام تتعلق بها.
- ١١٩ الباب السادس: في ألوانها وشياتها وصفاتها وما يمدح من ذلك وما يذم.
- ١٢٣ فصل والألوان المذكورة في هذه الأحاديث البقرة الخ.
- ١٣٥ فصل فيما جاء من بركتها وشؤمها.

رقم الصفحة

الباب السابع: في أمزجتها وخواصها وأدوائها وعلاجاتها وما
١٤٣ يتصل بذلك.

الباب الثامن: في تسمية خيل النبي ﷺ وأسماء دوابه وما وصل إلينا
١٥٥ من أسماء خيل أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين.

المصادر والمراجع
١٩٣